أبو الحسن علي الحسني الندوي

الدعوة إلى الله

حماية المجتمع من الجاهلية وصيانة الدين من التحريف

ملتزم النشر والتوزيع

المجمع الإسلامي العلمي

ندوة العلماء، ص.ب: ١١٩ لكناؤ، الهند

www.abulhasanalinadwi.org

من مطبوعات « المجمع الاسلامى العلمى » ـ لكناؤ (الهند)

رقم - ٢٣٨

★

الطبعـــة الثـانية

١٤١٢هـ - ١٩٩١م

★

قام بالنشر

محمد غيـاث الدين الندوى

★

المطبعة النـــدوية

ندوة العلمـاء ـ لكهنؤ (الهنـــد)

(AP-SN: 61)

www.abulhasanalinadwi.org

بسم الله الرحمن الرحيم

هـــذه الرسـالة

كتب هذا المقال للمؤتمر العالمى لتوجيـــه الدعوة و إعـــداد الدعاة الذى عقدته الجامعـة الاسلاميـــة بالمـــدينـــة المنورة ، فى الفترة بين ٢٤/ صفر — ٢٩/ صفر ١٣٩٧ هـ ، و نشر و وزع عـــلى جميع أعضاء المؤتمر .

الناشر

www.abulhasanalinadwi.org

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على سيد المرسلين و خاتم النبيين محمد و آله و صحبه أجمعين و من تبعهم باحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ! فانني سأتحدث فى هذه المناسبة الكريمة و هى « دورة مؤتمر الدعوة » التى تعقدها الجامعة الاسلامية فى مدرسة الدعوة الاسلامية الأولى و منطلق الدعاة إلى الله فى العالم « المدينة المنورة » عن بعض السمات البارزة التى يجب أن تتسم بها الدعوة و الدعاة فى هذا العصر حتى يستطيعوا أن يقوموا بدور الدعوة فى أتم وجـه ويبلغوا رسـالة الرسل

www.abulhasanalinadwi.org

عليهم السلام و يؤثروا التأثير المطلوب .

أما الدعوة الاسلامية فيجب أن تكون هذه الدعوة جامعة بين تحريك الايمان في نفوس المخاطبين و المجتمع الاسلامى ، و إثارة الشعور الدينى ، و بين إكمال الوعى و تنميته و تربيته ، فان المتتبع لأحوال العالم الاسلامى اليوم و واقع الأقطار الاسلامية و حكوماتها و شعوبها يعرف أن تمسك هذه الشعوب و الجماهير بالاسلام وحبها له هو الحاجز السميك و السد المنيع لكثير من القيادات التى خضعت للحضارة الغربية و قيمها و مفاهيمها ، و فلسفاتها و نظمها ، و آمنت بها إيماناً كايمان المتدينين بالديانات و المؤمنين بالشرائع السماوية ، وفقدت الثقة بصلاحية الاسلام لمسايرة العصر الحديث وتطوراته و أحداثه ، و كرسالة خالدة عالمية ، فاسلام هذه الشعوب و المجتمعات و كونها لا تفهم إلا لغة الايمان و القرآن و لا تندفع إلا لما يجىء عن طريقهما ،

www.abulhasanalinadwi.org

و لما يمس قلبها و يخاطب ضميرها ، يعوق كثيراً من هذه القيادات عن نبذ الاسلام نبذاً كلياً و إعلان الحرب عليه ، و قد لجأ بعض هذه القيادات فى ساعات عصيبة إلى إثارة هذا الايمان و الحماس الدينى ، واستخدامهما لكسب المعركة أو الانتصار على العدو حين رأت أن لا ملجأ من الله إلا إليه ، و إلى إيمان هذه الشعوب السليمة المؤمنة ، فرفعت هتاف التكبير : « الجهاد » و « الشهادة » فى سبيل الله ، و محاربة العدو الكافر المهاجم كما فعلت الجزائر فى حربها مع الفرنسيين ، و باكستان فى حرب ١٩٦٥م ، و جربت فائدة هذا الايمان وقوة هذه العاطفة .

فأصبح إيمان هذه الشعوب وتمسكها بالاسلام و تحمسها له ، هو السور القوى العالى الذى يعتمد عليه فى بقاء هذه البلاد ، و كثير من القيادات و الحكومات الاسلامية فى حظيرة الاسلام ، فاذا تهدم هذا السور — لا سمح الله

www.abulhasanalinadwi.org

بذلك — أو تسوره دعاة الكفر و اللادينية ، أو تيار الردة الفكرية و الحضارية ، فالخطر كل الخطر على الاسلام فى هذه البلاد ، و لا يمنع هؤلاء القادة المحاربين للاسلام ، و المضمرين له العداء والحقد شئ من أن يخلعوا العذار و يطرحوا الحشمة و التكلف ، ويجردوا هذه الأقطار و الشعوب العريقة فى الاسلام من كل ما يمت إلى الاسلام بصلة ، فان الشئ الوحيد الذى يخافون معرته ، و يحسبون له حساباً هو ثورة هذه الشعوب على هذه القيادات بدافع الايمان و الحماس الاسلامى ، فيفقدهم ذلك ما يتمتعون به من كراسى الحكم و مركز القيادة ، فاذا زال الحاجز لم يقف فى وجههم شئ .

إذن فيجب على دعاة الاسلام و العاملين فى مجال الدعوة الاسلامية الاحتفاظ بهذه البقية الباقية من الايمان فى نفوس الشعوب و الجماهير ، و المحافظة على الجمرة الايمانية

www.abulhasanalinadwi.org

من أن لا تنطفىء .

و لا يصح الاقتصار على تحريك الايمان ، و إثارة العاطفة الدينية فى نفوس الشعوب و الجماهير ، بل يجب أن تضم إليه تنميـــة الوعى الصحيح و تربيته و الفهم للحقائق و القضايا ، و التمييز بين الصديق و العدو ، وعدم الانخداع بالشعارات و المظاهر ، فقد رأينا أن الشعوب التى يضعف فيهـا هذا الوعى أو تحرمه يتسلط عليهـا — رغم تمسكها بالاسلام و حبهاله — قائد منافق أو زعيم ماكر أوعدو جبـار ، فيصفق له الشعب بكل حرارة ويسير فى ركابه[1] ، فيسوقها بالعصا سوق الراعى لقطعان من الغنم ، لا تعقل و لا تملك من أمرها شيئاً ، و لا يمنعها تمسكها بالاسلام و حبها له من أن تكون فريسة سهلة أو لقمة سائغة للقيادات اللادينية أو المؤامرات ضد الاسلام .

---

(١) كما وقع فى مصر فى عهد جمال عبد الناصر .

www.abulhasanalinadwi.org

و قد كان ما يمتاز به المجتمع الاسلامى الأول المثالى للصحابة رضى الله عنهم بفضل التربية النبوية الدقيقة الشاملة بالجمع بين الدين المتين الذى لا مغمز فيه ، و الايمان القوى الذى لا يعتريه وهن ، و بين الوعى الناضج الكامل ، فكانوا لا يخدعون و لا ينخدعون ، و لا يسيغون شيئاً ينافى الاسلام و ينافى العقل ، و الذى يضرهم و يخنى عليهم ، أو يوقعهم فى خطر أو تهلكة ، قد بلغوا من الرشد واستكملوا الحصافة و النضج ، فلا يؤخذون على غرة و لا يقعون فى شرك ينصبه العدو الماكر يخطئون و لكن لا يصرون ، و لا تتكرر منهم غلطات وتورطات ، و قد جاء فى حديث صحيح : «لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين» بخلاف الشعوب الفاقدة الوعى فهى تلدغ مرة بعد مرة ، و ذلك لأن رسول الله ﷺ أخذهم بتربية و تعاليم أمنوا بها عن الوقوع فى الشباك ، و امتنعوا بها عن قبول ما لا يتفق مع

www.abulhasanalinadwi.org

تعاليم الاسلام و آدابه و الفطر السليمة و العقول المستقيمة ، فكان مجتمعاً نموذجياً مثالياً فى كل شئ .

أعرض لكم — على سبيل المثال — مثالين من هـذا العقل الحصيف و الوعى الكامل :

الأول : أن النبى ﷺ قال مرة : « أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً » و هو مثل جاهلى قديم و عرف من أعراف العرب الأولين ، تمسك به العرب فى جاهليتهم كما قال العلامة الحافظ ابن حجر فى شرح هـذا الحديث فى كتابه الجليل « فتح البارى » ، فكان المتوقع المعقول أن يتلقـاه الصحابة ـ و قد نشأوا فى الجاهلية و عاشوا فى الجزيرة ـ إما بالقبول و إما بالسكوت .

وقد صدر هذا الكلام من النبى المعصوم الذى لاينطق عن الهوى « إن هو إلا وحى يوحى » و قد عرف حبهم لنبيهم ﷺ و فداؤهم له بالنفس ، و النفيس ، و كان حباً

www.abulhasanalinadwi.org

لا نظير له فى تاريخ الديانات و الرسالات ، و فى تاريخ الحب و الطاعة العالمى ، و كان تفسيراً للحديث المشهور : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من أهله و ولده و الناس أجمعين » ، و جاء فى بعض الروايات « من نفسه » ، و لكن كل ذلك لم يمنعهم عن التساؤل أو الاستيضاح فان ظاهر الكلام كان ينافى ما فهموه من تعليم الاسلام و ما شاهدوه من تربية الرسول و أخلاقه ، و ما آمنوا به من مبدأ الانصاف و المساواة ، و قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله و لو على أنفسكم أو الوالدين و الأقربين » ، وقوله تعالى : « و لا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى » ، فقالوا يا رسول الله ! هذا نصرته مظلوماً فكيف أنصره ظالماً ؟ هنالك فسره رسول الله ﷺ تفسيراً يتفق مع تعاليمه السابقة الدائمة فقال : « تمنعه من الظلم فذاك نصرك إياه[1] » ، هنالك

---

(١) حديث متفق عليه .

www.abulhasanalinadwi.org

اقتنع الصحابة رضى الله عنهم ، وشفيت صدورهم ، فازدادوا إيماناً على إيمان ، و هو مثال بليغ رائع من أمثلة الوعى الايمانى العقلى الذى كان شعاراً لصحابة الرسول ﷺ و الصدر الأول .

و المثال الثانى : أن رسول الله ﷺ أرسل سرية ، و أمر الصحابة بطاعة الأمير ، و قد كان فى هذه السرية ما لم يرض الأمير ، و شك فى انقيادهم له فأمر بالحطب ، فجمع ، و أمر بالنار فأشعلت ، ثم قال : خوضوها ، فامتنع الصحابة رضى الله عنهم عن طاعته فى ذلك ، لأنه « لاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق » ، و قالوا : إنما فررنا من النار ، و لما رجع إلى المدينة شكا إلى رسول الله ﷺ فصوب فعلهم ، و قال : « لو دخلوا فيها لم يزالوا فيها » ، و قال : « لا طاعة فى معصية الله إنما الطاعة فى المعروف[1] » .

---

(١) إقرأ القصة بطولها فى سنن أبى داود ، كتاب الجهاد .

www.abulhasanalinadwi.org

و كانت نتيجة ضعف بعض الشعوب المسلمة القوية فى إيمانها ، الغنية فى مظاهرها الايمانية ومراكزها الدينية وثروتها العلمية أنها كانت فريسة سهلة للهتافات الجاهلية و النعرات القومية أو العصبيات اللغوية و الثقافية ، و لعبة القيادات الداهية و المؤامرات الأجنبية ، و ذهبت ضحية سذاجتها و ضعفها فى الوعى الدينى ، و العقل الايمانى كما وقع فى باكستان الشرقية فى ١٩٧١ م المصادفة ١٣٩١ هـ ، قامت فيها مجزرة إنسانية هائلة ، و ما ذلك إلا بسحر دعوات العصبية اللغوية و العصبية الوطنية على هذا الشعب المسلم المؤمن الذى كان له تاريخ مجيد فى البطولات الاسلامية و خدمة الاسلام و العلم ، و نهض فيه علماء كبار و دعاة إلى الله ، و غصت بلادها بالمساجد و المدارس و كانت عاصفة هوجاء هبت ثم ركدت ، و نار حامية التهبت ثم انطفأت ، و لكنها زلزلت أركان الاسلام فى هذه المنطقة ،

www.abulhasanalinadwi.org

و أضعفت الكيان الاسلامى ، و كانت حجة لأعداء الاسلام الذين يقولون إن الاسلام لا يستطيع أن يقاوم العصبيات القومية و لا يقتلع جذورها من نفوس أتباعه .

و واجب ثالث مقدس من واجبات العاملين فى مجال الدعوة الاسلامية هو صيانة الحقائق الدينيـــة و المفاهيم الاسلامية من التحريف ، و إخضاعها للتصورات العصرية الغربية ، أو المصطلحات السياسية و الاقتصادية التى نشأت فى أجواء خاصة ، و بيئات مختلفة ، و لها خلفيات و عوامل و تاريخ ، و هى خاضعة دائماً للتطور و التغيير ، فيجب أن نغار على هذه الحقائق الدينية والمصطلحات الاسلامية غيرتنا على المقدسات و على الأعراض و الكرامات بل أكثر منها و أشد ، لأنها حصون الاسلام المنيعة و حماه و شعائره ، و إخضاعها للتصورات الحديثـــة أو تفسيرها بالمصطلحات الأجنبية إساءة إليها لا إحسان ، و إضعاف لها لا تقوية ،

www.abulhasanalinadwi.org

و تعريض للخطر لا حصانة ، ونزول بها إلى المستوى الواطئ المنخفض لا رفع لشأنها كما يتصور كثير من الناس ، فاذا قلنا : الحج مؤتمر إسلامى عالمى ، لم ننصف للحج و لم ننصف لمن نخاطبه و نريد أن نفهمه حقيقة الحج و روحه ، و لما شرع له و لم ننصح لكليهما ، و أن روح الحج و سر تشريعه غير ما تعقد له المؤتمرات صباح مساء ، و لو كان الحج مؤتمراً إسلامياً عالمياً لكان له شأن و نظام غير هذا النظام ، وجو غير هذا الجو ، و لكان النداء له مقصوراً على طبقات مثقفة واعية فقط و على قادة الرأى و زعماء المسلمين[1] .

كذلك حقيقة العبادة و حقيقة الصلاة ، و حقيقة الزكاة و الصوم ، فلا يجوز العبث بهذه المصطلحات و التجنى

(١) راجع معرفة أسرار الحج و مقاصد الشريعة الاسلامية فيه فى كتابنا « الاركان الأربعة » .

www.abulhasanalinadwi.org

عليها ، وإخضاعها للفلسفات الجديدة و تفسيرها بالشئ الذى لا ثقة به و لا قرار له ، و قد استخدمت هذه « الاستراتيجية الدعائية » الباطنية فى القرن الخامس الهجرى فما بعده ، ففسروا المصطلحات الدينيـــة بما شاؤوا وشاءت أهواؤهم و مصالحهم و تفننوا فيه ، و أتوا بالعجب العجاب ، وحققوا به غرضهم من إزالة الثقة بهذه الكلمات المتواترة التى هى أسوار الشريعة الاسلامية و حصونها و شعائرها ، و نشر الفوضى فى المجتمع الاسلامى ، و الجماهير المسلمة ، و إذا فقدت هـــذه الكلمات التى توارثت فهمها الأجيال المسلمة وتواتر فى المسلمين ، و أصبح فيها مساغ لكل داع إلى نحلة جديدة ، و رأى شاذ و قول طريف ، فقد أصبحت قلعة الاسلام مفتوحة لكل مهاجم و لكل منافق ، و زالت الثقة بالقرآن و الحديث و اللغة العربية ، و جاز لكل قائل أن يقول ما شاء و يدعو إلى ما شاء ، و هذه فتنة لا تساويها

www.abulhasanalinadwi.org

فتنة و خطر لا يكافئه خطر .

إن مفاهيم هذه الكلمات معينة - على اتساعها وبلاغتها و عمقها و كثرة معانيها — و إن الأمة توارثت هذه المفاهيم المعينة كما توارثت أشكال الصلاة و الصوم و الحج و نظمها الظاهرة ، و تناقلتها و حافظت عليها من غير أقل انقطاع أو أقصر فترة ، و إنه معنى قوله تعالى : « إنا نحن نزلنا الذكر و إنا له لحافظون » و « اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا » ، و هو معنى الحديث المشهور الذى صح معناه : « لا تجتمع أمتى على الضلالة[1] » ، و قد أثبت شيخ الاسلام ابن تيمية أن سنة واحدة من السنن الكثيرة لم ترتفع من هذه الأمة بشكل كلى ، و أنها لا تزال طائفة من أمتى ظاهرة على الحق .

و الكلمات هى الوسيلة الوحيدة لنقل المعانى و الحقائق

(١) أنظر البحث فى هذا الحديث فى كتابنا « النبوة والأنبياء » .

www.abulhasanalinadwi.org

من جيل إلى جيل و من عصر إلى عصر ، و من إنسان إلى إنسان ، فاذا وقع الشك فى مدلول هذه الكلمات ومصداقها ، أو صار التلاعب بها هيناً اضطربت دعائم الدين و تزلزلت أركانه ، و هذا يعم التاريخ و الشعر و الأدب ، لذلك كانت الفوضى اللغوية (Linguistic Anarchy) أشد خطراً و أكثر ضرراً من الفوضى السياسية (political Anarchy)[1].

(١) و من أمثلة هذا التلاعب بالمصطلحات الدينية ، أن أستاذاً فى إحدى جامعات الهند الكبرى ، و هو يدرس اللغة العربية و آدابها ، ألقى محاضرة فى دورة مؤتمر الدراسات الاسلامية الأخيرة ، قال فيها : إن المراد بكلمة « الصلاة » حيثما وردت فى القرآن مطلقة « الحكومة المحلية » أو « الأقليمية » ، و المراد بالصلاة الوسطى « الحكومة المركزية » أو « الخلافة العامة » و كان المقال باللغة العربية ، و قد رددت عليه فى حينه و قلت فى تعليق عليه : إنه تلاعب بالقرآن وبالعقل و تمهيد لفوضى لغوية فكرية ، و فتح الباب للالحاد على مصراعيه ، و نالت هذه الكلمة رضا المستمعين و تلقوها بالقبول و الاستحسان .

www.abulhasanalinadwi.org

و ليست قضية الأسماء و المصطلحات من البساطة بالمكان الذى يتصور كثير من الناس ، فانها تؤثر فى النفس تأثيراً خاصاً ، و تثير معانى وأحاسيس ذات الصلة بالماضى و ذات الصلة بالعقائد و الأعراف أحياناً ، و لذلك كره رسول الله ﷺ أن يقال « العتمة » مكان العشاء و « يوم العروبة » بدل الجمعة ، و استبدال كلمة يثرب بمدينة الرسول أو بالمدينة ، و لها أمثلة أخرى فى الشريعة الاسلامية .

و كذلك أحذركم أيها الاخوان مما لوحظ من بعض الكتاب من الضغط على أن هذه الأركان الدينية وفرائض الاسلام كالصلاة و الزكاة والصيام و الحج وسائل لا غايات ، إنما شرعت لاقامة الحكم الاسلامى و تنظيم المجتمع المسلم ، و تقويته ، و أحذركم من كل ما يحط من شأن روح العبادة و الصلة بين العبد و ربه و امتثال الأمر ، و من التوسع فى بيان فوائدها الخلقية و الاجتماعية و السياسية

www.abulhasanalinadwi.org

والاقتصادية أحياناً ، توسعاً يخيل للخاطب أو القارئ أنها أساليب تربوية أو عسكرية أو تنظيمية ، قيمتها ما يعود منها على المجتمع من قوة ونظام ، أو صحة بدنية وفوائد طبية ، فان أول أضرار هذا الأسلوب من التفكير أو التفسير أنه يفقد هذه العبادات قيمتها و قوتها و هو امتثال أمر الله و طلب رضاه بذلك ، و الايمان و الاحتساب و القرب عنـــد الله تعالى ، و هى خسارة عظيمة لا تعوض بأى فائدة ، و فراغ لا يملأ بأى شئ فى الدنيا .

و الضرر الثانى أنه لو توصل أحد المشرعين أو الحكماء المربين إلى أساليب أخرى قد تكون أنفع أو يخيل أنها أنفع لتحقيق هذه الأغراض الاجتماعية أو التنظيميـــة أو الطبية لاستغنى كثير من الذين آمنوا بهذه الفوائد عن الأركان و العبادات الشرعية ، و تمسكوا بهذه الأساليب أو التجارب الجديدة ، و بذلك يكون الدين دائماً معرضاً للخطر و لعبة

www.abulhasanalinadwi.org

للعابثين و المحرفين .

و هذا لا ينافى الغوص فى أعماق هذه الأركان والأحكام و الحقائق الدينية ، و الكشف عن أسرارها و فوائدها الاجتماعية ، و قد أفاض علماء الاسلام قديماً و حديثاً فى بيان مقاصد الشريعة الاسلامية وأسرار العبادات و الفرائض و الأحكام الشرعية ، و ألفوا كتباً مستقلة وكتبوا بحوثاً جليلة ، كالغزالى و الخطابى ، و عز الدين ابن عبد السلام و ابن قيم الجوزية ، و أحمد بن عبد الرحيم الدهلوى ، و لكن كل ذلك من غير تحريف لحقيقة هذه العبادات و الأحكام و الغاية الأولى التى شرعت لها ، و هى امتثال الأمر الالهى ، و التقرب إليه بذلك و الايمان و الاحتساب فيها و من غير إخضاع لها للفلسفات العجمية أو الأجنبية ، فى عصرهم ، و من غير خضوع بسحرها و بريقها .

www.abulhasanalinadwi.org

و أحذركم ثانياً أيها الشباب من كل ما يقلل من شناعة الوثنية العقائدية و الشرك الجلى من عبادة غير الله و السجود له و تقديم النذور و القرابين ، و إشراكه فى صفات الله من قدرة و علم وتصرف و إماتة و إحياء ، و إسعاد وإشقاء . وأحذركم من الاكتفاء بالتركيز على شناعة الخضوع للحكومات و النظم الانسانيـــة و التشريعات البشرية ، و تحويل حق التشريع للانسان ، و أن ذلك هو وحده عبادة الطاغوت و الشرك ، و أن الوثنية الأولى و عبادة غير الله قد فقدت أهميتها ، و إنما كانت لها الأهمية فى العصر القديم ، العصر البدائى ، و أنه لا يقبل عليها الآن إلا الرجل الجاهل الذى لا ثقافة له ، ففضلا عن أن هذه الوثنية و الشرك الجلى لا يزال له شيوع و انتشار ، و دولة و صولة يجربه كل إنسان فى كل زمان و مكان ، فانها الغاية الأولى التى بعث لها الأنبياء و أنزلت لها الكتب السماوية ، و قامت لها سوق

www.abulhasanalinadwi.org

الجنة و النار ، و كانت دعوة جميع الأنبياء تنطلق من هذه النقطة ، و كانت جهودهم مركزة على محاربة هذه الجاهلية ، و القرآن مملوء بذلك بحيث لا يقبل تأويلا[1] .

و إن كل ما يقلل من أهميـــة محاربة الشرك الجلى و عبادة غير الله سواء كانوا أشخاصاً أو أرواحاً ، أو ضرايح ومشاهد ، و العناية بمحاربة النظم و التشريعات و الحكومات حسب إحباط لجهود الأنبياء واتجاه بهـذا الدين عن منهجه القديم السماوى إلى المنهج الجديد السياسى ، و هو تحريف لا محالة ، هذا من غير أن أقلل من قيمة التركيز على أن التشريع لله وحده ، و له الحكم والأمر وحده ، و أن من يدعو إلى طاعة نفسه الطاعة المطلقة العمياء منافس للرب و الطاغوت ، و أنه يجب أن يدعى إلى التشريع الالهى

---

(١) إقرأ على سبيل المثال سورة « الأعراف » و سورة « هود » و سورة « الشعراء » ، و الحديث عن كل نبى و دعوته .

www.abulhasanalinadwi.org

و إلى إقامـــة الحكم الاسلامى القائم على منهاج الكتاب و السنة و منهاج الخلافة الراشدة ، و أن لايدخر سعى فى ذلك ، و لكن من غير أن يكون ذلك على حساب الدعوة إلى التوحيد و الدين الخالص ، و محاربة الوثنية و الشرك ، فانها لا تزال فى الدرجـــة الأولى و هى أكثر انتشاراً ، وأعظم خطراً فى الدنيا و الآخرة ، فقد قال الله : « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » و « من يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً » و قد قال : « فاجتنبوا الرجس من الأوثان و اجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به و من يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق » .

أما ما يتصل بصفات العاملين فى مجال الدعوة الاسلامية وجنود الدعوة إلى الله ، فانى أركز فى هذا الحديث الموجز على نقطة واحدة ، و هو أنه يجب أن يكون الدعاة يمتازون

www.abulhasanalinadwi.org

عن الدهماء و الجماهير ، و دعاة النظم الجديدة و الفلسفات الجديدة ، و الفلسفات السياسية و الاقتصادية بقوة إيمانهم و حرارة قلوبهم ، و زهدهم فى زخارف الدنيا و فضول العيش و نهامة للمادية ، و مرض التكاثر ، فانهم لا يستطيعون أن يؤثروا فيمن يخاطبونهم ، و يحملوهم على إيثار الدين على الدنيا و الآجلة على العاجلة ، و تلبية نداء الضمير و الايمان على نداء المعدة و النفس و الشهوات ، و إشعال مجامر قلوبهم التى انطفأت أو كادت تنطفئ ، إلا إذا شعر الناس فيهم بشئ لايجدونه فى قلوبهم و حياتهم ، فان الناس ما زالوا ولايزالون مفطورين على الاجلال لشئ لا يجدونه عندهم ، فالضعيف مفطور على احترام القوى ، و الفقير مفطور على احترام الغنى ، والأمى مفطور على احترام العالم ، حتى اللئيم مفطور على احترام الكريم ، أما إذا رأى الناس علما و دعاة لا يقلون فى حب المادة و الجرى وراءها و التنافس

www.abulhasanalinadwi.org

فى الوظائف و المناصب والاكثار من الثراء و الرخاء ، و التوسع فى المطاعم و المشارب ، و خفض العيش و لين الحياة ، فانهم لا يرون لهم فضلا عليهم وحقاً فى الدعوة إلى الله ، و إيثار الآخرة على الدنيا ، و التمرد على الشهوات ، و التماسك أمام المغريات ، و قـــد قيل : « إن فاقد الشئ لا يعطيه » و كذلك القلب الخاوى لا يملأ قلباً آخر بالايمان و الحنان ، و أن الموت لا ينشئ الحياة ، و أن البرودة لا تعطى الحرارة ، و أن الرماد الذى لا تكمن فيه جمرة لا يلهب القلوب الخامدة و لا يحيى النفوس الميتة ، و الكشاف لا ينير الطريق إذا كانت قد نفدت شحنته ، فلا بد أن تشحن القلوب بشحنة جـديدة ، و إذا كانت بطارية من غير شحنة كانت أقل غناء و قيمة من عصا يحملها الانسان . فقيمة البطارية الشحنة و قيمة الشحنة النور ، فاذا لم تكن شحنة أو كانت شحنة و لا نور فالعصا خير منه .

www.abulhasanalinadwi.org

أسألكم أيها الاخوان ! أليس هذا العصر هو العصر الذى انتشر فيه العلم و كثرت فيه وسائل الاعلام و التربية ، و ازدهرت فيه الخطابة و الكتابة ، و بلغت حد الشعر و السحر ، و عمت الجامعات فى كل مكان ، و تدفق السيل من المطبوعات و المنشورات من المطابع و دور النشر ، و نبغ فيها علماء و باحثون و وعاظ و مرشدون ، فلماذا فقد العلماء و الموجهون التأثير فى النفوس و القلوب فى صد تيار المادية و الاستغلال و الجشع و النهامة للمال ؟ هذه البلاد العربية — بما فيها البلاد المقدسة — أصبحت مصداقاً لما أخبر به الرسول ﷺ فى إحدى خطبه قبل وفاته : « ما الفقر أخشى عليكم و لكن أخاف أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم ، فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم » .

و أخوف ما نخاف أن تكتسح هذه البلاد الموجة

www.abulhasanalinadwi.org

العارمة من التكاثر فى الأموال ، و استغلال حاجة الناس وضعفهم ، و الانتهازية ، وهى الموجة التى لاتعرف الرحمة و الهوادة ، و مكارم الأخلاق التى عرف بها العرب فى العصر الجاهلى ، وربما يعود ذلك خطراً كبيراً على الحج و مركزه ، و يمكن أن يشكل محنة للوافدين إليـــه ، فيضطر الدعاة فى صد هذه الموجة إلى مكافحة خلقيـة و حملة دعوية تربوية تنظم لاصلاح الحـال ، و إيقاظ الضمير ، و إثارة الغيرة الاسلامية و الشعور النبيل ، و تنطلق من المنابر والصحف ، و الاذاعة و وسائل الاعلام ، و تجنـــد لهـا الطـاقات والألسن و الأقلام .

و سمة الدعوات الحيـة المخلصة التى تقتبس النور من مشكاة النبوة ، و تسير على نهجها ، أنها تجس نبض المجتمع جساً صحيحاً أميناً ، و تهتدى إلى الداء الحقيق و مواضع الضعف فى جسم هذا المجتمع ، و تضع الأصبع عليها ،

www.abulhasanalinadwi.org

و تضرب على الوتر الحساس ، من غير محاباة أو مداهنة ، و لا تكترث بألم هذا المجتمع أو ملامه ، كما فعل شعيب فى دعوته ، فوجه دعوته — بعد الدعوة إلى التوحيد — إلى إيفاء الكيل ، و الوزن بالقسطاس المستقيم ، و شنع على التطفيف ، إذ كان ذلك عيب المجتمع الذى بعث فيه ، و سمته البارزة ، و كذلك فعل غيره من الأنبياء .

و هذه كانت سنة الدعاة إلى الله من المخلصين الربانيين فى تاريخ الاسلام ، فكانوا ينتقدون المجتمع فى الصميم ، و يصيبون المحز ، و لذلك كان وقع كلامهم فى النفوس عظيما وعميقاً ، و ما كان يسع المجتمع أن يتغافل عنهم أو يمربهم مرآ سريعاً ، أو يسلى نفسه بأنه إنما يعنون غيره من المجتمعات التى سبقت أو المجتمعات التى لم تخلق بعد ، و هذا كان شأن الحسن البصرى فى مواعظه إذ كان دائماً يشير إلى النفاق الذى كان داء المجتمع الاسلامى ، و هو

www.abulhasanalinadwi.org

فى أوج مجده و رخائه ، و يذم حب الدنيا و طول الأمل ، و هذا كان شأن الشيخ عبد القادر الكيلانى ، فيدعو إلى التوحيد الخالص ، و قطع الرجاء و الخوف من غير الله ، و أنه لا يضر و لا ينفع سواه ، لأن الناس كانوا قد ربطوا مصيرهم بالخلفاء والأمراء و أصحاب الحول و الطول والأمر و النهى فى العاصمة ، و هذا كان شأن ابن الجوزى فى مواعظه الساحرة ، و مجالسه المزحومة ، فانه كان يشنع على الحياة اللاهية الماجنة التى كان يحياها كثير من الناس فى بغداد ، و على الذنوب و المعاصى التى كانت تقترف جهاراً ، و المنكرات التى شاعت ، فكان مئات و آلاف من الناس يتوبون و يقلعون عن الذنوب ، و كان نشيج يعلو وقلوب ترق و عيون تدمع ، و موجة من الانابة و الرقة تكتسح الجموع الحاشدة لأنه كان يمس القلوب و يصور الواقع ، و لا يكتفى بالكلام العام

www.abulhasanalinadwi.org

و الوعظ التقليدى[1] .

و هنا أنقل إليكم قطعة من كتابنا « رجال الفكر و الدعوة فى الاسلام » و المؤلف يتحدث عن الامام أحمد ابن حنبل و زهده :

« و قـد رأينا الزهد و التجديد مترافقين فى تاريخ الاسلام ، فلا نعرف أحداً ممن قلب التيـار و غير مجرى التاريخ ، ونفخ روحاً جديدة فى المجتمع الاسلامى أو افتتح عهداً جديداً فى تاريخ الاسلام ، وخلف تراثاً خالداً فى العلم و الفكر و الدين ، و ظل قروناً يؤثر فى الأفكار والآراء ، و يسيطر على العلم و الأدب إلا و له نزعـة فى الزهد و تغلب على الشهوات ، وسيطرة على المادة و رجالها ، ولعل السر فى ذلك أن الزهد يكسب الانسان قوة المقاومة ،

(١) اقرأ تفاصيل مجالس ابن الجوزى و تأثيرها فى كتـاب « صيد الخاطر » و « رحلة ابن جبير » .

www.abulhasanalinadwi.org

و الاعتداد بالشخصية و العقيدة ، و الاستهانة برجال المادة ، و بصرعى الشهوات ، و أسرى المعدة ، و لذلك ترى كثيراً من العبقريين و النوابغ فى الأمم ، كانوا زهاداً فى الحياة ، متمردين على الشهوات ، و بعيدين عن الملوك و الأمراء و الأغنياء فى زمانهم ، و لأن الزهد يثير فى النفس كوامن القوة ويشعل المواهب ، ويلهب الروح ، وبالعكس أن الدعة والرخاوة تبلد الحس و تنيم النفس و تميت القلب .

وهناك تعليلات أخرى يوافق عليها علم النفس و علم الأخلاق ، ولا أطيل بذكرها ، واقتصر على هذه الملاحظات التاريخية ، ألح على أن منصب التجديد و البعث الجديد يتطلب لا محالة زهـــداً و ترفعاً عن المطامع و سفساف الأمور ، و يأبى الاندافع إلى التيارات ، و يتنافى مع الحياة الوادعة الرخية و العيشة الباذخة الثرية ، إنمـا هو خلافة للرسول الأعظم ﷺ ، و قد قيل له : « و لا تمدن عينيك

www.abulhasanalinadwi.org

إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ، و رزق ربك خير و أبقى » ، و أمر بأن يقول لأزواجه : « إن كنتن تردن الحياة الدنيا و زينتها فتعالين أمتعكن و أسرحكن سراحاً جميلا » ، و هذه سنة الله فيمن يختاره لهذا الأمر العظيم ، و من يرشح نفسه و يمنيها بهذا المنصب الخطير : « و لن تجد لسنة الله تحويلا »[1] .

و من أبرز سمات الدعوة التي يقوم بها الأنبياء وخلفاؤهم أنها تقوم على الايمان بالآخرة و التحذير من عقابها والترغيب في نعمائها وثوابها و يكون مناط العمل فيها الايمان و الاحتساب و الأجر و الثواب ، لا على الاغراء بالفوائد الدنيوية و الجاه و المنصب و المال و الملك ، فانه أساس ضعيف منهار و لا يتفق مع طبيعة دعوات الأنبياء ، و المساومة فيه سهلة ، و قد يملك أعداؤهم وخصومهم والقادة

(١) رجال الفكر و الدعوة ، الجزء الأول ، ترجمة الامام أحمد بن حنبل ص ١٣٢ .

www.abulhasanalinadwi.org

السياسيون مثله أو أكثر منه ، و من رضع بلبان هـــذه المطامع لم يمكن فطامه عنها ، و لا يصح الاعتماد عليه ، و إنما يبنون دعوتهم على رضى الله و ثوابه و ما أعده الله لعباده المؤمنين و ما وعدهم به على لسان أنبيائه ، من نعيم لا يزول و لا يحول ، و الصحف السماوية — غير صحف العهد القديم و التوراة —[1] مملوءة بالحديث عن الآخرة و الاهتمام بها و البناء عليها و قـد جعل الاسلام الايمان بها عقيدة أساسية وشرطاً لصحة الايمان و النجاة ، و قد جاء فى القرآن صريحاً : « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً فى الأرض و لا فساداً و العاقبة للمتقين » .

و هنا استعير لنفسى من نفسى ما قلته فى إحـــدى المحاضرات التى ألقيتها فى هذه الجامعة العزيزة سنة ١٣٨٢ هـ

---

(١) فقد تجردت بعد التحريف ، من ذكر الآخرة و نعيمها و الترغيب فيها بطريقة عجيبة .

www.abulhasanalinadwi.org

تحت عنوان « النبوة و الأنبياء فى ضوء القرآن » و اختم به هذا الحديث مؤملا فى أن تكون هذه السمات التى تحدثت عنها شعار الدعوة التى يقوم بها الدعاة المتخرجون فى هذه الجامعة أو القائمون بأعبائها فى كل ناحية من نواحى العالم الإسلامى ، قلت و أنا أتحدث عن الفرق بين منهج الدعوات النبوية و بين الدعوات الاصلاحية :

« و لم تكن دعوة الأنبياء إلى الايمان بالآخرة أو الاشادة بها كضرورة خلقية أو كحاجة إصلاحية لا يقوم بغيرها مجتمع فاضل و مدنية صالحة فضلا عن المجتمع الاسلامى ، و هذا و إن كان يستحق التقدير و الاعجاب و لكنه يختلف عن منهج الأنبياء و سيرتهم و منهج خلفائهم اختلافاً واضحاً ، و الفرق بينهما أن الأول منهج الأنبياء ، إيمان و وجدان ، و شعور و عاطفة و عقيدة تملك على الانسان مشاعره ، و تفكيره و تصرفاته ، و الثانى اعتراف

www.abulhasanalinadwi.org

و تقدير و قانون مرسوم ، و أن الأولين يتكلمون عن الآخرة باندفاع و التذاذ ويدعون إليها بحماسة وقوة ، والآخرين يتكلمون عنها بقدر الضرورة الخلقية و الحاجة الاجتماعية و بدافع من الاصلاح و التنظيم الخلق ، و شتان ما بين الوجدان و العاطفة و بين الخضوع للنطق و المصالح الاجتماعيـــة .

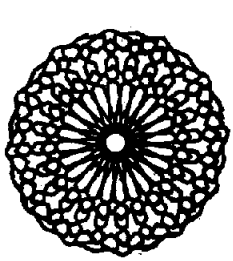

www.abulhasanalinadwi.org